



جداً ولكن احذر أن تفاضلها «
 فسألتهما : « هل سأكون عمها هي أيضاً ؟ »
 فضحكت وقالت : « ستكون عمنا اليوم ...
 واحذر أن تغلط »
 « ولكن سأغلط على التحقيق ، إن العمومة
 حادث جديد في حياتي ، فاذا أخطأت في تمثيل الدور
 فلا عجب ... لم أندرب عليه قط ... هل قلت
 خطيئتها ... أم حبيبها ؟ »
 فقالت : « بأسلام ... وما الفرق ... ؟ شيء
 غريب »
 قالت : « صحيح لا فرق ... ولكن عمك ؟
 كيف يمكن ألا أغلط ... ثم إنها مهمة صعبة ...
 لا أشعر أنني سأرتاح إليها »
 فقالت بدلال سلبني كل قدرة على المقاومة :
 « كن ظريفاً ... كالمادة »
 فضحكت مسروراً وقالت : هل يسمح لي أن
 أكون عمًا ظريفاً ؟ »
 قالت : « لا مانع . ولكن احذر أن تفاضلها »
 قالت : « لقد شوقني إليها ... أغريبتني بها . فهل
 هي حقيقة ظريفة ؟ ... أعني تستحق أن أرضى من
 أجلها وفي سبيلها أن أكون عمًا ؟ »
 قالت : « جدا ... موت ... »
 قالت : « يا حفيظ يارب ... والآل يابن الأخ

« كن ملاكا ... »
 « بغير جناحين ؟ »
 « وافتح البوابة »
 « آه ... أفتح البوابة لتخرج السيارة »
 « كيف عرفت ؟ »
 « بذلكاني ... ألم أقل لك إني ذكي ؟ »
 فرمت إلى نظرة من عين ساحبسة ثم قالت
 بابتسام نعالج أن تمنع أن ينقلب قهقهة عالية :
 « كن ملاكا ... »
 فوقع في روعي من ابتسامتها أن في الأمر ما لا
 يدخل في طوق الملائكة ، فزمت ولم أقل شيئاً ،
 وغالبت هي الضحك ثم قالت :
 « وكن اليوم عمي »
 « عم ... عم ... عمك ... يا خبر ... »
 قالت : « اسمع ... إن لي صديقة تريد أن
 تخرج لتلقاء خطيئتها ، ولكن أباه لا يدعها تخرج
 وحدها ، وقد انفقت معها على أن أمر بها لنذهب
 إلى السينما ... فهل فهمت لماذا أريد منك أن تكون
 اليوم عمي ؟ »
 فقالت وأنا أتوجع : « فهمت أنني سأذهب
 إلى سينما لم تسكن لي على بال ، وأني سأمثل دوراً لا
 أرتاح ... من هذه الفتاة ؟ »
 قالت - كأن هذا جواب السؤال - « جميلة

الله في عمره الى زمن غير زمنه ... » وقلت له :
أرجو ألا تكون درجات السلم كثيرة ... قالت
السلام تتبعني ... جداً ... »

فطمأنني الرجل وأكد لي أن الدرجات ثلاث
فقط - ودار وعدّها - وأشار الى حجرة ، وأوما
الى أن أدخل ، فاذا فيها فتاتان - التي جعلتني عمها
والأخرى التي سأكون عمها - أغنى التي تريد أن
تخرج لتلقى حبيبها أو خطيبها ... سيان كما قالت
صاحبتى ... وحددت في وجهها وأنا أسلم عليها
وأطلت النظر اليها وأبقيت يدها في يدي ، وأنا
أسألها عن صحتها ، وأثنى على بيتها وأذم لها الطريق اليه
وكانت كفها رخصة ووجهها حلواً سمحاً
وعيناها واسعتين ولونها صافياً وقدها رشيقياً

وجلس الرجل الى جانبي يحيدني
ويرحب « بالعم » ، وجاءت خادمة « بالماشوراء »
فاعترزت وقالت إن معدتي لا تهضمها وإني أظن
أني شحنت ، فقال الرجل : « العفو » وقالت
صاحبتى : « حسيح ... معدته ضعيفة ... والطبيب
ينهاه دائماً عن أكل شيء بين الوجبتين » ، وجاءت
القهوة ونارلوني فنجانة ، فصببت القهوة من الفنجانة
في الطبق ، كما رأيت بعض الشيوخ يفعلون ، وكان
هذا أبرع ما وفقت إليه في أدائي لدور العم ؛
وكانت صاحبتى تغالب الضحك بجهد ، ثم تنظر إلى
وتعض شفيتها محذرة من الغلط ، ثم سألتني الرجل
عن السينما التي اخترتها ، فقلت له : « ياسيدي لقد
ألحت هذه البنت للمعونة (والعمومة تسمح بهذه
للمعونات) أن آخذها إلى السينما مع صديقة لها
فاعترضت لأنى لا أكتملك أنى لا أطمئن إلى
الصداقة بين البنات ، ولكنى أحمد الله ... حمدته
وشكرته لما رأيته ... شعرت بالاطمئنان فما يمكن
أن تكون بنتك إلا فتاة مهيبة ... (وهنا شكرني

العزير - وإن كنت لأعرف لك أخاً ولا أختاً -
تفضلني وتخلي عن القيادة ... »

قالت : « لماذا ؟ ... إني أحب أن أقود
السيارة ... هل أخطأت ؟ ... »

فتركت سؤالها بلا جواب ، وقات بلهجة
الاعمام : اسمي السكلام يا بنت ... »

فضحكت ومالت بالسيارة الى الرصيف وتخلت
لي عن مقعد السائق

وبلغنا البيت - لا أدري كيف ولا من أين
فقد أطاررت صوابي كثرة التعاريج وضيق الحارات ،
واسكن البيت كان في فضاء رحيب وإن كان غير
نظيف . وزلت هي وبقيت أنا في السيارة . ومضت
دقائق وأنا أفكر في عمها وفي الفتاة التي ستقول لي
« يا عمي » ، وفي كيف أطيق الصبر على هذه
العمومة ، وإذا بفتى يقول لي : « تفضل يا عمي »
فصحت به - فقد فاجأني - « إيه ؟ .. » وكان
مؤدباً مهيّناً ووسياً قسماً فحدثت نفسي أن الفتاة
التي ستدعوني عمها لا بد أن تكون جميلة - إذا
اطرد القياس ، وتنهدت لأنى سأكون عمها أيضاً ...
ولعمومة قيودها ، ولا بد من الاحتشام ... فلا حول
ولا قوة إلا بالله !

وقال الفتى : « تفضل حتى تلبس أختي »
فشكرته وأغلقت أبواب السيارة فوجدت كان
الأطفال كثيرين في الحارة ، والأطفال ملاعين
يمبثون بكل شيء كما كنت أفعل لما كنت طفلاً ،
ومشيت وراءه الى بيت حديث البناء ، فاستقباني
وراء الباب رجل وقور ظننته أول الأمر من
السكان ، ولكنه مديده الى وقال - كما قال الفتى -
« تفضل » ، فقلت انفسى : « إن تمثيل دور العم
ينبغى أن يبدأ هنا ... حالا ... فان هذا الرجل
الطيب لا بد أن يكون هو الأب السني الذي مد

ودرنا نبهت عن بيت الخطيب — أو هكذا ظننت ، ولكن الحقيقة أننا سررنا به ، وأن الفتاة رآته في الشرفة غير أنها خجلت أن تدعو عمها إلى الوقوف وتنزل ، وأحسست أن جوال السيارة لا يخلو من ركود ، فوقفت في بعض الطريق واتجهت إلى الفتاة وسألها : « هل عرفت البيت ؟ . وهل رأيت فيه صاحبك ؟ » فهزت رأسها أنت نعم واضطرم وجهها — حياء على ما أظن — وتولت صاحبتى الكلام والايضاح ، فقلت لها : « حسن . ابقيا أنما هنا وسأزل إليهما »

ولما وقفت عيني عليه وهو واقف في الشرفة ومعه أخته أشرت إليهما أن ينزل فلم يفهم ، فصحت به : « تعال ... أيوه انت ... » وسلم مرتبكا وقال : « أفندم »

فقلت بمنف : « لا أفندم ولا يحزنون ... كيف تكلف الفتاة أن تقطع إليك الكرة الأرضية ولا تجشم نفسك عناء السعي إليها ؟ ... ثم إن أباه لا يمكن أن يقبل »

فقاطمني وقال بلهفة : « هل يعرف ... » قلت : « اسمع ... هذه الملائكة يجب أن تكون رسمية علنية وإلا فالواجب أن تنقطع ... الآن »

وقال بصوت خافت : « بالطبع » فالتفت إليه وقلت بصرامة : « بالطبع ماذا ؟ ... تقطع ؟ ... أو تستمر على وجه القبول ؟ »

قال : « تستمر بالطبع ... إنى أريد أن أتزوجها »

فوقفت وسألته : « وماذا يمكنك ؟ . إن الزواج ليس من وسائله هذه المقابلات السرية التي لا يعلم بها والدها ... والآن تعال وأطمني ... مضيت به إلى السيارة وكان يعيش مطأطأ

واستغفر الله كما لا أحتاج أن أقول) فرأيت أن أختار شريطاً غير غرامى . . آثرت شريطاً من الأشرطة البوليسية . . وهى كلام فارغ ، ولكنها خير وأسلم عاقبة من الأشرطة الغرامية ، وأظن أنك توافقي . . أليس كذلك ؟ »

فوافق وشكر وأكد لى أنه تشرف بمعرفتي ، ولا أكنتم القارىء أى خجلت منه في هذه اللحظة وأن نفسى حدثتني أن أصارحه بالحقيقة من أولها إلى آخرها ، ولم يصدقني عن ذلك إلا التخرج من الزج بنفسى في مازق آخر لا يسهل الخروج منه ، وإذا صارحته بأنى لست عمّاً ولا قريباً فاذا يكون موقفى . . بل ماذا يكون موقف صاحبتى التي جاءت بي إلى هنا وادعت أنى عمها . . ثم إنى أريد أن أرى هذا الحبيب أو الخطيب — سيان — الذى تريد أن تلقاه وتحتال هى وصاحبتى على هذا النجوى المخرج — لى — لتلقاه ؟ وقد أستطيع أن أصنع خيراً إذا رأيته فإن لى لفراصة

وأخيراً نهضنا ، وركب معنا الفتى — أعنى أخاه — فاحتفظت أمامه بمقتضيات العمومة على فرط ثقلاها حتى تركنا حيث يريد ، وكانت الفتاتان على المقعد الخلفى ، فلما نزل الفتى وأمنت أن يسمعهنى قلت لهما وأنا أمضى بالسيارة على غير هدى : « هل أتقنت دور المم ؟ » ، فضحكت الفتاتان ، نفيل إلى لحظة أن الفتاة التي جئنا بها تعرف أنى لست عمّاً ولا ابن عم ولكن صاحبتى قالت شيئاً فهمت منه أنها تريد أن أمضى في تمثيل الدور فسخطت وقالت : « والآن إلى أين بنا » ، فقالت الفتاة الجديدة : « إلى ... من فضلك ... أعنى إذا سمحت » ، وقالت الأخرى — صاحبتى — « بالطبع ... إن عمى سبور ... » ، وضحكتنا من هذا المم « الاسبور » ، ومن حقهما أن يضحكا . .

قلت : « لا شيء ... اطمئني ... ولكن
أطيعيني بلا سؤال أو تردد »

وأنا رجل لا أحب التلصؤ ولا أطيق البلادة .
ولا صبر لي على التلوي واللف والدوران . وإعماي
عظيم بأن الخط المستقيم هو أقرب مسافة بين
نقطتين . والذي يصنعه غيري في يوم أصنعه أنا في
لحظة لأن أعصابي لا تحتمل البطء . لذلك مضيت
إلى بيت الرجل وكانت كل من الفتاتين تسألني :
« إلى أين من هنا ؟ » وكانتا أول الأمر تتمجبان
وتضحكان ثم وجهتا لما دنوت من البيت وانتفي كل
شك في أنني أقصد إليه

وقلت للشاب وأنا أنزل وأجره : « تعال أعرفك
بأبيها ، فما أستطيع أن أستصحبك معها بغير ذلك ...
أعني بغير اذنه ... أفهم ؟ »

وكانت لهجتي صارمة أو قل انها كانت حازمة
وان خلت من العنف ، فسار معي . وجاء الرجل
مستغرباً عودتنا قبل موعد انتهاء السينما فقلت له
بلا تهديد : « هذا الشاب يريد أن يكون نسيبك ...
يحب بنتك هذه ... وأنا أعلم أن هذه مفاجأة ...
ولكني لا أدعوك الى تزويجه الآن ... إنما رأيت
من واجبي أن أخبرك ... وسيمطيك اسمه وعنوانه
ويحدثك عن نفسه وأهله وأصله وفصله فيما بعد ...
فاذا وافقت ورأيت أنه لا ذلك فهنيئاً لك وله والبنات
والاقارمه ... وقد أخبرتك بهذا ... فاجأئك به
لأنني لا أستطيع أن أدعه يصحبنا الى السينما بغير
علمك وإذنك ... فهل تسمح له بذلك ؟ »

وتشهدت لما سمعت الرجل - هذا الرجل
الوقور الطاب - ياذن لي في ذلك ويشكرني أيضاً ...
تالله ما أطيعيه ! ...

وعدنا الى السيارة فركبناها في صمت فقد
بهت الشاب واستعصى عليه الكلام . وله العذر .

الرأس . وأحسب أنني نغصت عليه هذا اللقاء ،
ولكنني لم أكن أستطيع غير ذلك فقد كانت
صورة الأب الوقور الطيب الذي لا يتخالجه ريبة
مائلة أمام عيني ، وقد ترك لي ابنته مطمئناً الى ومعتماً
بعد الله على . ولو كنت لم أدخل بيته ولم أروجه
ولم يأتني على فتاته لما أحسست أن على تبعة . وشق
على أن يكلفها هذا الفتى أن تذهب اليه في آخر
الدنيا ، وهو قاعد في بيته لا يتحرك ولا يسمي ، ولا
يبالي ما تتحمل الفتاة في سبيله من عناء وما تغريها
به الرغبة في لقائه من احتيال وكذب وخداع .
فنبوت أن أحسم الأمر

وهم بالركوب فحذبه من كتفه ، وثابت به قليلاً
وسأله : « الى أين أولاً ؟ ... قل لي ماذا تنوي أن
تصنع ؟ إني لا أريد أن أضايقك ولكن هذه الفتاة
السادجة في ذمتي فهل تستطيع أن تكون رجلاً ؟ »
فانقد وجهه وتلعثم ثم استطاع بجهد أن يقول
لي إنه رجل شريف وإنه لا يبنى بها سوءاً وسألني
وقد وجد لسانه : « هل حضرتك ... »
فقاطعتة قائلاً : « لا يعبئك من أنا ... تعال ...
يكفيك أنني قد وثقت بك ... تعال »

فسره هذا . وهل هو إلا طفل ؟ .. وإني
لا أكون حماراً غيبياً بلبدأ إذا لم أستطع أن أستولى
على زمامه ... والتفت إلى صاحبتى ونحن راجعون
بالسيارة وقلت : « وأنت أيضاً ستطيعين عمك
فألت على وقالت : « إيه ؟ » قلت : « لا شيء ...
لقد شئت أن أكون لك اليوم عمّاً . فاستنكرت
أن أكونه في أول الأمر ولكن الدور حلالى ...
أعجبني ... فأنا الآن عم حقيقي ... سأظل عمّاً
ظريفاً ... ولكنني عم على كل حال فلا تنسى هذا »
فسألني بصوت خفيض : « ماذا جرى ؟
طمئني ... »

ودخلنا السينما فجلست بين الفتياتين وجلس الشاب على يمين صاحبتة التي جمعتها خطيبته برضاه أو على الرغم منه ، لا أدري ، فلم ذلك عند الله ؟ وكانت الفاتتان لا تعرفان شيئاً مما حدث لأنهما لم يدخلتا البيت ممنا ولم نقل لهما شيئاً في السيارة فقلت على صاحبتى وقلت لها : « الآن تستطيعين أن تهينى ... ما اسمها ؟ .. لقد صارت خطيبته حقاً وصدقاً ... لا كذباً يا مامونة ... »

فراحت تترثر وتسألنى : « ايه ... ماذا تقول ... ماذا حدث ... كيف كان هذا ... ماذا صنعت حين دخلت البيت ... ؟ »

فوضعت كفى على فمها . وكيف بالله كنت أستطيع أن أصد هذا الطوفان من الأسئلة بغير ذلك ؟ وقد وقف الطوفان ، ولكن اللعينة عضتني فكدت أصرخ لولا أننا في سينا . وتصبرت وتجللت واتجهت الى الشاب وقلت له وأنا أمد كفى المعضوضة : « بسها ... إذا كنت مسرورا » فباسها - بطننا وظهرا - مرة وثانية وثالثة . فاستحييت وانتزعها منه ، وحوات وجهي الى صاحبتى وذهبت أحدثها بما كان ، وإني لكذلك وإذا بالفتاة الأخرى تجذبنى اليها وتدير وجهي الى وجهها وتطوقني بذراعيها وتقبل خدي ... أى والله ولا تستحي ... فدهشت ونظرت اليها ... ثم حوات وجهي عنها . فقد كانت الدموع على خديها وأعترف أني لم أر شيئاً من الشريط ... نعم نظرت ولكني لم أفهم ... لم يكن بالى الى ما أرى وكنت أفكر في هذه الفتاة وفي مصيرها مع فتاتها لو لم يلهمنى الله أن أكون مجنوناً وأن أصنع ما صنعت وهل يفعل هذا سوى مجنون ؟

ولكنه جنون أتمر خيرا
وقالت الخطيبة ونحن خارجون : « عمى ... لا تتركنا »

فتذابت وقلت : « هل سأظل عما لك أيضاً الى الأبد ... »
فجذبت ذراعى وقالت بلهجة المستعطف : « لا تتركنا ... فاهم »

قلت : « سمعت . وفهمت . وأطمت . »
قالت صاحبتى : « أما إنك لم ... »
فلم أقل شيئاً وفتحت أبواب السيارة وأشرت اليهم بكلتا يدي وقلت : « بيتك . بيتك . بيتك » كما يقال للدجاج

وتمشينا جميعا في بيت الرجل الطيب . ولكني قبل أن أتناول شيئاً من طعامه قلت له : « سأقول لك شيئاً . لست عما لهذه الفتاة . هي صديقة وجارة . أعرف أهلها جميعا من زمان طويل . وقد ألفت أن تدعوني عمها . حكم العادة فقط . وأنا أكره هذه العمومة ، ولذلك أخلمها أمامك ، وأرجو أن تعينني على التخلص منها . فما قولك ... ؟ »

وكانت يداى على ركبتي في انتظار حكمه ، فأحسست راحتين عليهما فالتفت فاذا الفاتتان تنظران إلى بابتسامة الرضى والسرور ، فرددت عيني الى الرجل استعجله الحكم فقال : « تفضل ياسيدي تفضل »

فتشهدت ورفعت يدي الى المائدة لآكل وإذا بالخطيبة تنهض وتميل على عنقي وتقباني كلا ... إنها فتاة لا تستحي ... أبدا ... أبدا
براهيم عبد القادر المازني